Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويحاول بعد ذلك أن يغيب مع هذا العزاء في حلم آخر يستغرق أربع مقطوعات ، غير أنه لا يلبث أن يرجع فرداً يواجه الدهر مرهقاً بالأثقال ، وقد اختلطت عنده الأشياء ، واستوى لديه اليأس والرجاء :

وإذا جَنّتي سرابٌ وآما ... لِيَ بيدٌ تَضِجّ بالأهوالِ
وإذا بي أواجه الدهرَ فرداً ... أرهقتْه الأيامُ بالأثقالِ
روعتْ هذه التهاويلُ حِسّي ... فاستوى عندها رجائي ويأسي

ويختم الشاعر القصيدة بعتاب مع نفسه ، فقد رفضت العزاء باسم القضاء والقدر عن الحقيقة المنكرة ، ودعته إلى أن يلوذ بالمنى ، فلما تبددت سحب الآمال ، أمام وقدة شمس الواقع دعته إلى الخلود في حمى الفن حتى اصطدم بالحقيقة ، وهي أن قيده الترابي يضنيه وإذن فليس أمام نفسه إلا أن تذعن لحكم السماء في سخرية مرة ، وتهكم أليم :

أنتِ يا نفسُ سرُّ هذا الشقاءِ ... شِدْتِ مجدى على أساسِ هباءِ
من سماءِ الخيالِ عدتُ لأقتا ... تَ ترابَ الحقيقةِ النكراءِ
وهنا الكوخ ، فانعمي في حماهُ ... بجمالِ الطبيعةِ العذراءِ

في هذا النموذج رأينا كيف تم الاتحاد بين وجدان الأمة ، وكيف تحولت أحلام الفرد إلى أحلام طبقة ، وإذا كان ذلك واضحاً في هذا المثال فإنه واضح كذلك في شعر يبدو من الوهلة الأولى ذاتياً مسرفاً في ذاتيته ، ومن ذلك ما نشره محمود غنيم في « الرسالة » سنة ١٩٣٥ بعنوان : « كأس تفيض » ففي هذه القصيدة يعبر الشاعر عن ضيقه بطول مكثه مدرساً في الريف ، فهي إذن ذاتية خاصة في مبعثها وموضوعها ولكنها اجتماعية عامة في تناولها وعطائها . إنها تفضح الاسس التي قام عليها المجتمع في ذلك الحين :

لعَمْرُكَ ما أدري على أيّ منطقٍ ... أشاهدُ في مصرَ الحظوظَ تُقَسَّمُ
فكمْ رَصَد الأفلاكَ في مصر أكمهٌ ... وزلزلَ أعوادَ المنابرِ أبْكَمُ